حاجة المسلمين في هذه الأيام إلى المســلم القـويّ

الأخ متولي موسى

قد يتبادر إلى الذهن سؤال عن جوانب القوة المطلوبة .. ولن أتحدث هنا عن كل الجوانب وإنما أكتفي بأهمهما :

قوى الفكر

أقصد أن يعتز المؤمن بانتمائه إلى الإسلام ويستشعر أن الفكر الذي يؤمن به ويسعى لتطبيقه منـــزّل من عنـــد الله خالق البشر وليس هذا الفكر من نتاج عقول البشر ، كما يستشعر بأنه هو الأعلى حتى وإن كان مقهوراً أو مغلوباً على أمره .. ﴿ **وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران : 139]

لقد عمل أعداء الإسلام على فصل المسلمين عن إسلامهم العظيم حتى أصبح المسلم يخشى أن يجهر بإعلان اعتناقه الإسلام أو يجهر بتطبيقه للإسلام ، بل وصل الأمر ببعض المنعوتين بالإيمان أن يعتبروا فترة حكم الإسلام في الـــبلاد فترة استعمار .

إنّ أعداء الإسلام فصلوا المسلمين عن كتاب الله وربطوهم بالميثاق وورقة اكتوبر ومعاهدة الـــسلام والكتـــاب الأخضر وبرنامج الحزب وغير ذلك من المناهج الأرضية .

يجب أن يستشعر المؤمن أن الإسلام العظيم هو شريعة الله الخالدة ودينه الذي ارتضاه للبشرية ، ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ... ﴾ [آل عمران : 19] ، ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُـــوَ فِـــي الآَخِـــرَةِ مِـــنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران : 85]

إنّ الإسلام العظيم هو سبيل خلاص بلادنا مما حلّ بها وهو طريقنا إلى الحرية والكرامة والعدالة ورفـــع الظلـــم ، يعتقده المسلم وحياً منـــزلاً من عند الله ويعتز به سبيلاً للخير في الدنيا والآخرة ، فالله تبارك أنـــزل القرآن الكـــريم روحاً يحيي ونوراً يهدي وصراطاً مستقيماً للسالكين ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَـــدْرِي مَـــا الْكِتَابُ وَلا الإِيـــمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِـــرَاطٍ مُـــسْتَقِيمٍ ۞ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ** ﴾ [الشورى : 52-53]

قويٌ بعلمه ويمتلك وسائل العصر!

يجب أن يكون المؤمن منطلقاً للإسلام من المكان الذي يوجد فيه بحيث لو لم يكن موجوداً سوى هذا المؤمن لكان بتطبيقه للإسلام أمّة كما كان إبراهيم عليه السلام ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً** ... ﴾ [النحل : 120] . وذلك يتطلب الإلمـــام بالعلم وامتلاك وسائل العصر التي يمكنه بها أن يبلّغ دعوة الإسلام ع مستوى العالم والعصر الذي يعيش فيه ، وليثق في هداية الله وبأنه هو الذي علم الإنسان ما لم يعلم منذ آدم عس فهو الذي علّم آدم الأسماء كلها وهو الذي علّم ويعلم ذرية آدم إلى يوم القيامة .

فلا بد إذن من العلم بالإسلام والعلم بالواقع والعصر الذي نعيش فيه والعلم بالأسلوب المناســب للانطــلاق في سبيل تحقيق الخلافة على الأرض والقيام بواجب الأمانة التي حملها الإنسان وكلفت بها أمة محمد ﷺ .

إنّ المؤمن لن يكون قادراً على تبليغ رسالة الإسلام للناس كافة ، وكذلك لا يمكنه التمكين لشرع الله عزَّ وجــلَّ في الأرض إلاّ بالتفوق في جميع الميادين وعلى جميع المستويات ، وذلك يتطلب أن يبرز من بين المؤمنين فتية آمنوا بربهم فيرتفعوا بمستواهم إلى مستوى الإسلام العظيم ويحققوا له القيادة المؤثّرة على مستوى العالم ، وهذا المستوى لا يمكــن بلوغه بالأماني والأحلام وإنما لا بدّ من جهود جبارة تبذل في كل مجال .

﴿ **لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا** ﴾ [النساء 123-124]

﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ... ﴾ [العنكبوت : 69]

قوي الجسد!

كان أصحاب رسول الله ﷺ رهباناً بالليل فرساناً بالنهار ، لم تعرف الدنيا أقوى منهم ولا أبرع منهم في ميادين القتال . ورسول الله ﷺ يقول : « **الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْــرٌ** ... » (رواه مسلم وابن ماجه) وإذا كانت القوة في هذا الحديث تنصرف في الدرجة الأولى إلى القوة في الحق إلاّ أنها جاءت بلفظ عام فهي تتضمن فيما تتضمن القوة في الجسد ، فهي نعم العون على الحق وعلــى أداء الواجــب في مختلــف الميادين .

ونبيُّ بني إسرائيل حين اعترض قومه على جعل طالوت ملكاً عليهم يقول لهم : ﴿ ... **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَــيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ** ... ﴾ [البقرة : 247]

وحينما أراد سليمان عليه السلام من يأتي له بعرض ملكة سبأ قال العفريت القوي من الجن ﴿ ... **أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ** ﴾ [النمل : 39]

وابنة شعيب عليه السلام طلبت من أبيها أن يستأجر موسى عليه السلام ليرعى الغنم وجعلت من حيثيات الطلب قوة موسى عليه السلام الجسدية ﴿ **قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ** ﴾ [القصص : 26]

ومما جاء بالقرآن والسنة يتضح لنا أن قوة جسد المؤمن في الحرب والسلم على السواء مفيدة ، فالصحة والقــوة الجسدية تنعكس في حياة المسلم بالخير دائماً ، وليس الأمر كما فهم بعض مشايخ المسلمين -مع الأسف الــشديد- بأن هناك انفصالاً بين قوة الروح وقوة الجسد ، فترى أكثر المشايخ يعنون بالروح -كما يزعمون- ويهملون الجسد ، كأن الإسلام لم يأمر بالعناية بالجسد وكأن التربية الإسلامية تكون في جانب دون آخر .

يجب رفض هذا التفكير وإيقاف استمراره في الحاضر والمستقبل فالإسلام يطالب المسلمين بالقوة بما في ذلك القوة الجسدية .

قوة الإرادة !

لا بد أن يقتنع الفتية الذين آمنوا بربهم بأهدافهم ويعزموا عزماً قاطعاً على متابعة الطريق لتحقيق هذه الأهــداف مهما كانت العقبات والتضحيات حتى ولو أدخلوا الكهف .

إنّ الأهداف الجليلة البعيدة لا يصل إليها أفراد ضعاف الإرادة ، والأهداف التي اقتنع بها هؤلاء الفتيــة ومطلبــها جليل مما يستوجب قوة إرادتهم وثباتهم على طريق تحقيق هذه الأهداف .

ولقد فهم المسلمون الأوائل ذلك فتروي كتب السيرة أنه لما اجتمع الأنصار لبيعة رسول الله ﷺ بيعة العقبة الثانية قال العباس : (يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا أنهكتْ أموالَكم مصيبة ، وأشرافكم قتلاً أســلمتموه ، فمــن الآن ، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأمــوال وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة ، قالوا : فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يا رسول الله إن وفينا بذلك ؟ قال : الجنة . قالوا : ابسط يدك ، فبسط يده فبايعوه) وكان لهم مــن بعــد ذلك نصر الله والتمكين في الدنيا والآخرة .

والمسلمون في هذه الأيام بحاجة إلى مثل هذه البيعة وإلى أمثال هؤلاء الرجال في قــوة إرادتهــم وتــصميمهم ، وسيكون لهم من بعد ذلك النصر مهما طال الزمن . فالمؤمنون الصادقون حسبهم أن يكونوا مع الله ومع الحق الــذي أنزله يجاهدون في سبيله ويموتون من أجله ويرون ثواب الله خيراً من كل مكسب دنيوي

﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ۞ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَـــى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [آل عمران : 157-158]

قويٌّ بروحه!

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِـــرُ وَمَـــا بَـــدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب : 23] لا بدّ من صدق الإيمان بالله تعالى والاتصال به وخلع كل ما يُعبد من دونه وامتثال أمره ونهيه وتحري مرضاته في كل عمل وإرادةِ وجهه في كل قصد .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة : 119] إننا إن لم نؤمن بالله حق الإيمان و لم نربط قلوبنا به و لم ننظر من وراء كل عمل إلى مرضاته لم ننتفع بما نملك من وسائل الدنيا وقوة الفكر والعلـــم والجـــسم ، فكم كانت وسائل الدنيا في أيدي بعض المنعوتين بالإسلام مفسدةً لهم ومهلكة للدين والخلق وكم كان الفكر والعلم سبيلاً للأغراض والمنافع الحقيرة بل كم وُجد من علماء الإسلام من يضعون أنفـــسهم في خدمـــة أعـــداء الإســـلام ويحاربون المخلصين ويشترون بآيات الله ثمناً قليلاً مكسباً مادياً أو منصباً أو جاهاً أو متاعاً فانياً من متاع الدنيا ، وكم رأينا من أصحاب الأجسام القوية ممن ينتسبون إلى الإسلام ويستخدمون هذه القوة في معصية الله وفي تعذيب الدعاة إلى دين الله .

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَـــةِ ﴾ [البينة : 5] لا بدّ إذن قبل كل شيء من الإيمان الصادق والعبودية الخالصة والمراقبة الدائمة وأن يكون كل قول وكل عمل وجهد مبذولاً لله عزَّ وجلَّ ، وعندها تكون الوسائل الأخرى نافعة لنا في إرضاء ربنا وبلوغ أهدافنا .

إنّ السر في نجاح المسلمين الأوائل وانتصارهم أنهم بإيمانهم الصادق واستسلامهم الكامل لأمر الله تعالى ورغبتـــهم العميقة في مرضاته وثوابه ، قد توفر عندهم الاستعداد الكامل للقيام بكل مطلب من مطالب الإسلام مهما كانـــت المشقة والتضحية : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات : 15] .

قويٌّ في إعلاء كلمة الله والجهر بالحق !

عندما يكون الهدف هو إعلاء كلمة الله في الأرض فلا بدّ أن يكون لذلك الرجال الذين يحملون هذه الكلمة بكل قوة ويضعون القضية في مكانها الصحيح ويرتفعون فوق كل هوى شخصي أو مطلب دنيوي .

إنّ الذين يرتبطون بالله يشعرون أنهم بارتباطهم بربهم أكبر من كل قوة ، وسبيلهم لإعلاء كلمة الله في الأرض هو الجهاد في سبيل الله الذي يكون جزاؤه الفوز أو الشهادة ، وعقيدة المسلم التي يؤمن بها تجعل الجهاد في ســـبيل الله إذا

دخل العدو أرض الإسلام -كما هو الحال في هذه الأيام- فرضَ عينٍ على الرجل والمرأة والكبير والــصغير وتحــول الشعب كله إلى شعب مقاتل في سبيل الله ، والقتال في سبيل الله قتال في سبيل الحق ضد الباطل والعدل ضد الظلــم والخير ضد الشر والحرية ضد العبودية ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَــاتِلُونَ فِــي سَــبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا** ﴾ [النساء : 76] .

وما دام القتال في سبيل إعلاء كلمة الله فليثق المؤمن القوي بنصر الله ﴿ **وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۞ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ** ﴾ [آل عمران : 40-41]

ولا يمكن إعلاء كلمة الله في الأرض بدون الجهر بالحق ، والله عزَّ وجلّ يقول : ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْــرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [النساء : 94] ، ويقول : ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** ... ﴾ [البقرة : 119] والجهر بالحق يستوجب تحمّل التبعة ولذلك يقول الله عزَّ وجلّ : ﴿ **وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلاَّ الَّــذِينَ آمَنُــوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾ [العصر : 1-3] ويقول : ﴿ **قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَــبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [التوبة : 51] .

وفي النهاية أود أن أقول إنه وإن كانت الجوانب المذكورة ليست هي كل الجوانب إلاّ أنها لو توفرت في نخبة من المؤمنين لأمكنهم أن يحققوا النصر الموعود بإذن الله .